

الوقت

من خلال التاريخ وكتب الرحالة

م . أبو الفرج العسلي

مقال نشر في المجلد السابع من مجلة الحوليات الأثوية

لعام ١٩٥٢ الصفحة ٥٣ - ٧٢

الروثة

من خلال التاريخ وكتب الحالة

م . أ . أبو النرجس العشي

لغة جغرافية وطبيعية : تقع منطقة الروثة على شاطئ الروثة الشمالي في السهل المحصور بين الروثة ورافده نهر البليخ من منطقة الجزيرة الواسعة الغنية . وهي ذات تربة خصبة سهلة الإرواء (كانت تشرب ^(١) من البليخ) لما اقليم ^(٢) مقبول : يجب عليها نسيم النهر فيعدل من حرارتها صيفا . وتستقبل المدينة جهة الجنوب حيث شريان حياتها ومركز اهتمامها ألا وهو الروثة فتتعرض لأشعة الشمس الدافئة ويكون لها شواء لطيف .

تنتبع الروثة بموقع جغرافي ممتاز ، فهي في نقطة متوسطة من الروثة ، وموضع تقاطع ^(٣)

(١) مجسم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٨٠٣ طبعة ليدن .

(٢) يضمها الجغرافيون العرب في الاقليم الرابع بطول ٥٦٣ أو ٥٦٤ وعرض ٣٦ ؛ (تاريخ البلدان لأبي النداء ص ٥١ ، مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ١٩٠ ، أحسن التقاسيم للقدسي ص ٦٠) .

(٣) المسالك والممالك لابن خردادبة ص ٨١ - ٨٤ .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ١ ص ٣٢٥٩ .

مروج الذهب للمسعودي ص ٣٤٤ .

الطرق التجارة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب؛ ولقد أهلها هذا الموقع لتكون محطة تجارية هامة . نجد في أطرافها الاواحي الخصبة والمراعي إلى مسافات شاسعة فكانت الرقة لهذا السبب مركزاً لتجميع الحاصلات وتبادل السلع ومصدر ^(١) المؤن إلى كثير من البلاد . وإذا أضفنا إلى هذه المزايا أهمية الموقع السواتحي ، فإنا نستطيع أن نقدر أهمية هذه المنطقة كمركز لتجمع البشر والثروات وموطن لتقدم الحضارة على مر الزمن .

لقد سكن البشر هذه المنطقة منذ العصور الحجرية القديمة ، وتراكمت آثار الإنسان بعضها فوق بعض . وقد أعطانا خير مديرية الآثار العامة الأستاذ ^(٢) دوقان مجملًا لهذه الطبقات نذكره فيما يلي :

- ١ - العصر الحجري القديم (يعود إلى ما قبل ٦٠٠٠ سنة ق . م) آثاره موجودة في السهل .
- ٢ - العصر الحجري الحديث (٦٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م) آثاره موجودة في تل زيدان ^(٣) على الطرف الأيسر من البلخ .
- ٣ - عصر البرونز (٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق . م) آثاره موجودة في تل البيعة على بعد ٢ كم من البلخ في الضفة اليمنى قرب مدينة الرشيد .
- ٤ - المدينة الخليفة (٣٠٠ ق . م حتى نهاية القرن الأول ق . م) وقد بناها سلوقس ^(٤) الأول وأسمها نيكيفوريم Nikephorium ، وهي تحت انقاض المهدين الروماني والبيزنطي .

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٧٢ : ذكر الخليفة المنصور أهمية الرقة كمصدر للمؤن عندما اتى بناء بغداد .
- (المصدر نفسه) ج ٣ ص ١٦٠٤ عندما اشتد الضيق على سكان الجيوب أيام المستعين سنة ١٢٥٩ هـ وانتم من من الرقة فيما دقيق وأطواف فيها زيت وغير ذلك

(٢) للأستاذ دوقان في أضافير مديرية الآثار العامة تقرير مؤرخ في ١٩ و ٢٠ كانون الأول ١٩٥٤ .

(٣) يذكر الأستاذ هرتزفيلد أن في هذا التل المدينة القديمة (Zeodotion (L'Encyclopédie de l'Islam V. III

(٤) ذكر الأستاذ سوافاجه في محة Ars Islamica XIII - XIV P. 31 أن بابايا الاسكندر الكبير لكن الأستاذ هويلمان كاتب بحث الرقة في الموسوعة الاسلامية ح III ص ١١٨٥ يستبعد عي الاسكندر إلى هذه العلة .

- ٥ - المدينة الرومانية ^(١) (القرن الأول - الثالث ب . م .) وهي تقع إلى شرقي باب بغداد القائم حالياً في الرقة .
- ٦ - المدينة البيزنطية (القرن الثالث - السابع ب . م .) واسمها كاليبيكوم ^(٢) ، ثم أطلق عليها ليونتوبوليس ^(٣) Leontopolis وهي تقع إلى شرقي باب بغداد .
- ٧ - مدينة الرقعة ^(٤) التي بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٥٥ هـ - ٧٧٢ م
- ٨ - مدينة الرشيد ^(٥) : وهي توسع الرقعة نحو الشرق والشمال في القرنين الثاني والثالث للمجريين = الثامن والتاسع الميلاديين .

مدينة الرقعة : لقد كانت الملل الحبيب ولا يزال مدى حيويًا لتوسع الاقوام السامية العربية التي تقطن الجزيرة العربية منذ العصور التاريخية السحيطة ، وكانت هذه الاقوام تقدم احيانًا بغارات واسعة متفاجئة نحو الشمال - على اثر كارثة طارئة او قسط شامل - ، واحيانًا تنساب بحدوده وتستقر على هوامش المناطق الحبيبة ، ثم تتغلغل بها . ولقد كان من هذه الفجرات الواسعة الأكاديون والآشوريون ثم العوريون والكتعانيون والفينيقيون والأراميون ثم نزح العرب الأنباط الذين استقروا في الجناح الغربي من الملل الحبيب وذلك في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد ، ثم اشرف التدمريون على بادية الشام وانغثوا لأنفسهم في قلبها تدمر عاصمة لهم ، ووصل نفوذهم إلى الفرات الأوسط موالين الدولة الرومانية أحيانًا ومترددين عليها أحيانًا أخرى

(١) لم يسم الاستاذ دوفان هذه المدينة بينما يعطيا الاستاذ كرزويل الاسم كاليبيكوم التي نسبها إلى الامبراطور غالينوس القوي سنة ٢٦٨ ب . م . Early Muslim Architecture III P. 39 . إن الاستاذ دوفان يرجع أن تكون المدينة بيزنطية ؛ بينما الاستاذ هوينان (كاتب البعث في الموسوعة الإسلامية) يعتبرها ميلية ايضاً إذ يفسرها إلى سلوقس الثاني كاليبيكوس الذي أسس المدينة سنة ٢٤٤ أو ٢٤٢ ق . م . ويأن الاستاذ هوينان برأي آخر اعتاداً على الكاتب Libanios بنسبة المدينة إلى سولي البقاء الذي المسمى كاليبيكوس ثم يستبعد الاستاذ هوينان هذا الرأي . أما الرأي النهائي فهو متعلق على أعمال الحفر في المستقبل فهو القوي يحدد العصر بدقة [.

- (٢) نسبها الاستاذ كرزويل في المرجع المذكور آخراً إلى الامبراطور ليون الثاني الذي حكم الشرق في ٤٧٣ - ٤٧٤ ب . م . ويبين الاستاذ هوينان السنة التي بنيت بها المدينة وهي سنة ٤٦٦ ب . م .
- (٣) كان الأفضل أن يضيف الاستاذ دوفان إلى هذه الطبقة مدينة الرقة التي سبقت الرقعة مدة قرنين تقريباً ثم عادت معها قريبين أو أكثر .
- (٤) هذه التسمية حديثة ، ويبنى بها الجدير توسع الرقعة خارج الحدود نحو الشرق والشمال أيام الرشيد وخلفائه وهذه هي التي اسماها ياقوت الحموي الرقة الوسطى : معجم البلدان ج II ص ٨٠٢ .

لقد استقر العرب الممانيون (وأصلهم من اليمن) في الجناح الشرقي للبلال الحبيب منذ القرن الثاني بعد الميلاد وسكنوا وادي الفرات الأدنى ، وصار لهم دولة تحت إشراف الساسانيين عرفت بدولة الفخين ثم عرفت بدولة المناذرة . وقد أرادت كل من الدولة الساسانية والرومانية استغلال هاتين الدولتين المواليتين للتحرش والانتقام وأحياناً للاستيلاء على أراضٍ جديدة . وعندما انتهى أمر التدميرين نشأت دولة القساسنة البينيين وقد لعبوا الدور (الذي كانت تلعبه الدولة التدمرية) في ظل الدولة البزنطية . وبقيت هذه الدولة حتى الفتح العربي الاسلامي ، لكن دولة المناذرة انتهى أجلها قبل الفتح العربي وحكم الفرس وادي الفرات حكماً مباشراً .

لقد كانت منطقة الرقة ديار مضر وهم من عرب الشمال : وقد انتقل حكم هذه المنطقة من أيدي الفرس لأيدي الروم البزنطيين عدة مرات ، واستقرت بأيدي الروم بعد انتصارهم على الفرس أخيراً قبل ظهور الإسلام . وقد كان أهل هذه المنطقة وأكثر مدن الجزيرة من العرب الذين قبلوا أكثرهم الدين المسيحي ، واستقروا في هذا السهل ، وأطلقوا على مدينتهم اسم (الرقة) وكلية الرقة (بفتح الراء وتشديد القاف) لغة تعني : كل (١) أرض إلى جانب وادٍ ينبسط الماء عليها أيام المد ثم ينضب ، أي أن التسمية كانت مطابقة للسمي .

لقد اختلف المؤرخون في تعيين تاريخ فتح العرب المسلمين مدينة الرقة بين سنة ١٧ هـ و ١٨ هـ ، وأكثر من مال إلى أن الفتح تم في سنة ١٨ هـ اعتمد على الواقدي صاحب فتوح الشام ومنهم البلاذري ومن أخذ عنه ، إلا أن الطبري (٢) وإبوت الحموي يؤكدان أن الفتح تم سنة ١٧ هـ وبين الطبري السبب المباشر لفتح الرقة وهو أن أهل الجزيرة المسيحيين استأثروا الروم على أهل حصص بعد أن فتحها أبو عبيدة الجراح ، فتجمع الروم لاستعادتها من المسلمين وتحرّج الموقف على ابن الجراح فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالأمر . فكتب عمر إلى والي الكوفة سعد بن مالك (٣) (ككتلر) يقول له : « سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند . وليأت .

(صحة: أبي جعفر)

(١) القاموس المحيط للجزيري ج ٣ ص ٢٣٧ .

معجم البلدان لياقوت ج II ص ٨٠٢ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ج I ص ٢٥٠٠ - ٢٥٠٦ .

ياقوت ج II ص ٨٠٢ .

(٣) هناك رواية ثانية في الطبري تقول إن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص . وهذه الرواية تنطبق مع .

ما جاء في معجم البلدان ج II ص ٨٠٢ ومع جميع الكتب التاريخية .

الركة ... » « ... وسرح عياضاً (يقصد عياض بن غم) ، فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غم . وجيز عمر بن الخطاب جيشاً قاده بنفسه وألقه نحو الشام حتى وصل الجابية . وقد أراد الخليفة بنين العليل أن يقعد أولاً عرب الشمال النصارى عن مؤازرة الروم لاستخلاص حمص ثم أتى بنفسه لنجدة أبي عبيدة . وقد نبعت الحطة .

انتهى سبيل بن عدي إلى الرقة وقد أرفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورم حين جمعوا بمقابل أهل الكوفة فنزل عليهم ، فأقام محاصرم حتى صالحوه ، وذلك أنهم قالوا فيما بينهم : « أنت بين أهل العراق وأهل الشام ، فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء » فبعثوا بذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة . فرأى أن يقبل منهم فابعده وقبل منهم . هذه هي الرواية التي يرجعها الطبري ، إلا أنه - كما أنه - أورد رواية أخرى فقال : « وزعم^(١) الواقدي أن الرقة والرثما وحران قتعت في هذه السنة (يعني سنة ١٨١ هـ) على يدي عياض بن غم ... » .

أما البلاذري^(٢) فقد ذكر أخذاً عن الواقدي : « ... سار عياض إلى الجزيرة سنة ١٨١ هـ انتهت طليعة عياض إلى الرقة فأغاروا على حاضر كان حولها للعرب وعلى قوم الفلاحين ، فأصابوا مغناً ، وهرب من غيا من أولئك فدخلوا مدينة الرقة . وأقبل عياض في عسكره حتى نزل باب الرثما (وهو أحد أبوابها) في تعبته . فرمى المسلمون ساعه حتى جرح بعضهم ، ثم إنه تأخر عنهم لثلاث بلبغه حجارته وسهامهم . وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثم رجع إلى عسكره ، وبث السرايا فجمعوا يأتون بالأسرى من القرى وبالأطعمة الكثيرة . وكانت الزروع مستحصدة . فلما مضت خمسة أيام أو ستة وهم على ذلك أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان . فصالحه عياض على أن أمّن جمع أهلها على أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ومدينتهم . وقال عياض : الأرض لنا قد وطشناها وأحرزناها ، فأقرها في أيديهم على الخراج ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة ؛ فرفضوه إلى المسلمين على العشر ووضع الجزيرة على رقابهم : فألزم (عياض) كل رجل منهم ديناراً في كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظف عليهم مع الدينار أقترة من قمح وشبثاً من زيت وخل وعسل .

(١) الطبري ج I ص ٢٥٧٨ .

(٢) توح البلدان - البلاذري ص ١٧٧ - ١٧٨ الطبعة المبرقة بالأزهر ١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م .

(فلما ولي معاوية جعل ذلك جزية عليهم) . ثم إنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للسلبين سوقاً على باب الرها .

فكتب لهم عياض عهداً : **بسم الله الرحمن الرحيم** . هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تخرب ولا تسكن ، إذا أعطوا الجزية التي عليهم ، ولم يحدوا مغيلة ، وعلى أن لا يحدوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً^(١) ولا صلياً . شهد الله - وكفى بالله شهيداً - وختم عياض بمخاقه . ونستنتج من هذه النصوص أن الرقة العربية القديمة كانت ذات سور وأبواب ، وكانت ذات غلات متنوعة حسنة ، وكان لها سوق عامة ، وكان أهلها مسيحيين . ولم يؤذها العرب . عندما فتحوها بل أبقا أراضيها في أيدي أهلها ورتبوا عليهم فقط تكاليف الأمن والسلام . استمرت الرقة في ظل الحكم الإسلامي تتبع بحيرة الاعتقاد ، وتستفيد من موقعها الجغرافي . ومن ثروتها الزراعية ومن أهميتها التجارية كسوق بين الجزيرة والشام . وقد دخل إليها الإصلاح^(٢) العرفاني سنة ٢٠ هـ في عهد واليها الثاني وهو سعيد بن عامر بن^(٣) حذيم فبنى بها جامعاً من الآجر واستعمل في بنائه أنقاض الرخام^(٤) القديم : ولا زالت آثار مأذنة المنيطر في خرائب الرقة القديمة شاهداً على المدينة المنثرة الواقعة شرقي الرافقة (ضاعت معالمها الظاهرة منذ عشرين عاماً) والتي نرجح أن تكون الرقة البيضاء المذكورة في الكتب التاريخية والجغرافية القديمة . ويعين القديسي^(٥) جامعها في محلة البرّازين ويقول إنه كان فيه شجرة غناب وشجرة توت ، وبالقرب مسجد معلق على عمود . لقد انرد القديسي بذكر هذا المسجد المعلق ويبدو أنه هو دير العواميد الذي .

(١) الباعوث : هو صلاة قال يوم من عيد الفصح ، والصلاة في طلب الطروهي كلمة سريانية الأصل (المتجدد) .

ويقصد بهذه الكلمة في النص الاحتفال بالدين الجبوري .

(٢) البلاذري ص ١٨٢ .

(٣) يحكم ذكرها الاستاذ هورنيان خطأ "حذيم" (بالجم) .

(٤) لدينا ما يؤيد هذا الخبر لحد حصلنا في المتحف الوطني على تيجان أممية تظن أنها من العهد البزنطي .

لكن أحدها لا نملك أنه بزنطي وقد كان على وجهه صليب ، تحت البناء الذي استعمله القوّابة العليا . من الصليب ، ندنا وكأنه وردة ترينينة . [اللوح ٩]

(٥) أحسن التعاليم للقديسي ص ١٤١ .

ذكره الأستاذ هونيمان نقلاً عن ^(١) ميكائيل السوري وذكر أنه استقر سنة ١٩٧ هـ أثناء ثورة عمرو ونصر بن شيب أيام الأمون .

لقد ورد ذكر الركة في السنة ٣٦ هـ ^(٢) عندما أراد علي بن أبي طالب أن يمتاز الفرات من الجزيرة إلى ضفاف الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان ، انتهى إلى الركة ومر منها جيشه على جسر نصب على السفن بعد تمتع من أهل الركة . وورد ذكرها في مناسبات شتى في كتب التاريخ والأدب في العصر الأموي ، وقد كانت دائماً مشهورة كمحلة هامة وسوق غنية تتوّن منها الجيوش : ففي سنة ٤٣ هـ ^(٣) هجرية في عهد عمر بن عبد العزيز ، فوّن جيش مسلمة بن عبد الملك من الركة لمحاربة الحوارج الحارورية في العراق . وفي عهد هشام بن عبد الملك كانت له محطة يستريح بها أثناء سفره إلى الرصافة وقد بنى مقابله على الضفة الغربية قصرين نشأت حولها واسط ^(٤) الركة وكانت تزوي من ^(٥) قناتين اسمها المنى والمري فخرها هشام وهما تستقيان من الفرات ثم تصبان فيه . ويذكر الأستاذ ^(٦) هونيمان في الموسوعة أن هشاماً بنى جسراً على الفرات عند واسط الركة . ومن الغريب حقاً ألا يرد ذكر جسر الركة في المراجع العربية لا من عهد هشام ولا من عهود سواء ، ويبدو أن الأستاذ المذكور اعتمد على ميكائيل السوري أو ديونيسوس قل محري . يبدو أن جسراً على الفرات كان موجوداً شمالي الركة على بعد نحو ثمانية كيلومترات حيث تظهر في مجرى نهر الفرات وكيزة ضخمة مرصعة ، يعلن أنها كانت إحدى ركائز الجسر القديم .

وهنا يجب أن نعلم قبل أن نتقل إلى العصر العباسي : أكانت الركة في العصر الأموي بلدة واحدة

(١) Michael, Syr. III, 26

(٢) الطبري ج I ص ٣٢٥٩ : للمودى ج VII ص ٣٤٤ .

(٣) الطبري ج II ص ١٣١٨ .

(٤) البلاذري ص ١٤٥ .

(٥) ياقوت ج IV ص ٩٩٤ .

(٦) الموسوعة III ١١٨٦ .

أما كانت عدة بلدان متقاربة : يذكر ياقوت^(١) - بعد الكلام عن درجة طول الرقة وعرضها اعتياداً على بطليموس - الرقة البيضاء (وهي الرقة القديمة تقع شرقي الرافقة على بعد ٢ كم تقريباً) والرقة الوسطى (وهي توسع الرافقة في عهد الرشيد) ثم يذكر رقة واسط (كذا) التي اسمها بالبلاذري كما شرحنا سابقاً واسط الرقة ويعين مكانها في الضفة المقابلة ، ثم يقول : « وأسفل من الرقة بفرسخ الرقة السوداء وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة وشربها من البلخ ، والجميع متصل . » فإذا استثنينا الرقة الوسطى التي هي من العهد العباسي كان لنا أن نعلم أن نهم أن يكون هناك بلدة أخرى إذا رجعنا أن تكون السوداء هي المحترقة كما سيأتي بيانه .

... ذكرتك إن فاض الغرات بأرضنا وجاش بأعلى الرقنين بجارها ...

نقول : كان لنا أن نعلم أن في الضفة الشرقية رقنين منذ العهد الأموي ويموز أن تكون الرقة السوداء إحداها أو أن يكون هناك بلدة أخرى إذا رجعنا أن تكون السوداء هي المحترقة كما سيأتي بيانه .

الرافقة :

تنبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى أهمية موقع الرقة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية فمن الناحية العسكرية كانت قريبة من التخوم الشبالية حيث يحتم الخطر البيزنطي يقوِّص بالعرب المسلمين . وكان موقعها في الضفة الشرقية وإمكان نصب جسر منها إلى الضفة الغربية يجعل منها مركزاً حصيناً صالحاً للدفاع والمجوم بأن واحد . وأما من الناحية الاقتصادية فلا ريب أن الرقة في العهد العباسي قد تقدمت تقدماً محسوساً من الناحية الزراعية والناحية التجارية بسبب انتقال مركز نخل الدولة إلى العراق وأصبحت الرقة هي النافذة التي تطلّ منها خيرات الجزيرة وبلاد الشام على أسواق العراق ، تتجمع الحاصلات المتنوعة فيها وتتساقب إلى العراق عن طريق النهر والبر . ولم تحف هذه الأهمية على الخليفة المنصور حيناً أراد أن ينتمي مكان بغداد عاصمة جديدة لدولته فقد قال^(٢) : « هذا موضع معسكر صالح : هذه دجلة ليس بيننا وبين

(١) ياقوت ح II ص ٨٠٢ - ٨٠٣ .

(٢) الأعلام لوزركلي .

(٣) الطبري ح III ص ٢٧٢ .

غرضت على البنائين^(١) أن يحيطوا السور على شكل نعل الفرس ، ولكن ضلعه الشرقي أطول من ضلعه الغربي . ولما كان الموضع سهلاً ليس فيه وقاء طبيعي فقد جعل لها سور مضاعف كبنفاد أي سور داخلي وسور خارجي ، بينها فصيل^(٢) وحول السور الخارجي حفر خندق . يقول شمس الدين^(٣) القنسي : «... يحصن عريض يسير على منته فارسان ..» لقد قدر العالم الاثري هرتزفيلد عرض كل من السورين والتفصيل والخندق بالخطوات ولقد ذكرها الأستاذ كرذويل في كتابه نقلاً عنه ، إلا أنه استطاع أن يحصل على المقاييس^(٤) الصحيحة بعد أن اتصل بالسيد سيويغ مدير مصلحة الآثار الافرنسي في سوويا في سنة ١٩٣٣ بعد زيارته الثانية للرقعة ، فكلف المدير المهندس السيد نودي Naudy الذي قام بعملية سبر وأعطى النتائج^(٥) التالية : سمك السور الرئيسي ٨٠ م ، عرض الفصيل ٢٠ م ، سمك السور الخارجي ٥٥ م ، أما الخندق فإثر عرضه في الأعلى ١٥٩٠ م وفي الأسفل ٩٥٠ م . وقد تبين من سبر أسفل السور أن الأساس من الحجر الكلسي (ويظن الأستاذ كرذويل من حبر الجبس الطبيعي الموجود في المنطقة يوفرة) ، وتقدر أبعاد الحجر الواحد بـ ٨٥ سم طولاً و ٥٥ عرضاً و ٦٥ سم ارتفاعاً لم يستطع السيد نودي Naudy أن يتأكد من أن هذا الأساس الحجري موجود تحت السور كله أو أنه فقط يحمي ولجة الأساس ، إلا أنه يرجح الفرض الثاني (أي أنه موجود في الطرف الخارجي فقط) . ويقول إن الأساس الحجري مركّز على الأرض الحرة وهو مرتبط معها بمؤونة شبيهة بالأسمت . جعل المدينة بإبان^(٦) أحدهما في الزاوية الجنوبية الشرقية والآخر في الزاوية الجنوبية الغربية

(١) كرذويل ج II ص ٢٩ نقلاً عن ديوليسوس كل عري يقول : جلب المصور البنائين من جميع بلاد الزاندين .

(٢) ياقوت ج II ص ٧٣٤ يشتمل ياقوت هذه الكلمة بمن فاصل مع أن صناعا القوي ساطع نصير دون الحسن (القاموس المحيط للفيروزآدي) .

(٣) أحسن التلخيص للقنسي ص ١٤١ طبعه بميل - ليدن ١٩٠٦ .

(٤) الظاهرات وتقرير المهندس السيد نودي موجودة في أخاير مديرية الآثار العامة .

(٥) كرذويل ج II ص ٤٠ - ٤١ .

(٦) أ - يذكر ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك (طبعه الأكاديمية الايطالية سنة ١٨٢٢) ص ١٢ عندما يصف مدينة المدية في تونس يقول : « ولما بابان ليس لها نيا رأيت من الأرض شبه ولا يظفر فيه البايين الذين على سور الرافعة وعلى مقلها عملا ... »

ب - أحسن التلخيص للقنسي ص ١٤١ .

ولا يزال الباب الشرقي مائلاً ويسرى (باب بغداد ^(١) ، أما الباب الغربي فقد تهدم وقد ذكر ياقوت ^(٢) اسم (باب الجنان) لعل هذا الاسم للباب الغربي ، وكلاهما بنيا من الآجر ، وجعل إلى جانب كل منهما برج مستدير نصف قطره (٧٨٠ م) تقريباً ، لا يزال البرج الشرقي موجوداً بارتماق ٨-٧ م ، أما البرج الغربي فقد رآه الأستاذ هرتفد عندما زار الرقة سنة ١٩٠٨ ولم يعد له وجود الآن. يقدر الأستاذ كرزويل أبعاد الرافعة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب بنحو ١٥٠٠ م ويعطي الأستاذ هرتفد ^(٣) مساحة لها (١٩٧٢ كم^٢) .

أما داخل السور فإن الأنقاض فيها متراكمة وتشكل تلالاً صغيرة وأرضاً متبوجة . ولم يبق من آثار الأبنية القديمة إلا واجهة الجامع والمآذنة وآثار قصر ^(٤) لا يوجد فيه كتابات تدل عليه . وقد ورد ذكر الجامع في الكتب القديمة : ذكره القديسي ^(٥) وقال عنه : « ... إنه جامع عجيب ... » وفي موضع آخر عين مكانه في سوق الصاغة . وذكر الاصطخري ^(٦) الجامع فقال : « ... وفي كل واحدة منها (يعني الرقة والرافعة) مسجد جامع » . وقد ذكرنا سابقاً المسجد الذي بناه سعيد بن عامر الوالي الثاني للرقة سنة ٤٠٠ هـ .

يضم من كلام ياقوت أن الرقة وجميع القواسمي المحيطة تشرب من نهر البليخ بواسطة قنوات ، لكن الأستاذ ^(٧) هونيفان يقول - اعتياداً على ميكائيل السوري - : « إن قناتين منفصلتين من منطقة مروج تروي الرافعة من الفرات » . ونقول ربما كانت القنوات تستمد مياهها من البليخ ومن الفرات معاً ، خاصة وأن أكثر الجغرافيين العرب يتحدثون عن وفرة مياهها وكثرة أشجارها .

وفي الفضاء الكائن بين الرقة والرافعة نشأت الزارعة وأنشء فيه السوق ^(٨) الجديد في عهد

(١) لم ترد هذه التسمية في كتب الأسمين الذين اعتمدوا على أخبارهم .

(٢) ياقوت ح I ص ٤٤٣ ؛ ج II ص ١٢٥ .

(٣) الموسوعة الإسلامية III ١١٨٧ .

(٤) أحسن التكميل ص ١٤١ .

(٥) كتاب الأقاليم (طبعة Göttinge سنة ١٨٣٩) ص ٤٧ .

(٦) الموسوعة الإسلامية III ١١٨٧ اعتياداً على : Michael Syr. III, 10 .

(٧) البلاذري ص ١٨٤ ؛ ياقوت II ٧٣٤ .

والي الجزيرة علي بن مليان بن علي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، ونقل سوق الرقة الأعظم المعروف بسوق هشام العتيق اليه .

أما الرض خارج الرافقة ، فقد اختلف القدماء على مدلوله : إن ^(١) ياقوت يقول عن الرافقة : « ... ولما رضى بينها وبين الرقة وبه أسواقها ... » وبعد هذا القول يتكلم عن إنشاء السوق الجديد في الفضاء - كما ذكرنا في الفقرة السابقة - أي إن الأسواق الموجودة في الرض غير السوق الجديد . ويقول المقدسي ^(٢) : « ... والرافقة هي رضى الرقة ... » ويقول أبو الفداء ^(٣) نقلاً عن المشترك : « ... الرقة مدينة على الفرات ، وكانت يقال لرضها الرافقة ... » إذا راجعنا معنى كلمة رضى وجدنا أنها (مأوى النعم والأرض التي تجاوره) ويوسع التجرد المعنى بإطلاقه على الضاحية أو المنشآت الإضافية الموجودة قريباً من السور . فبمثل أن يكون الرض الموجود بين الرقة والرافقة كان بالأصل مأوى النعم ويجاوره سوق النعم ثم اتسع بطبيعة الأمر ، لكن لم ينشأ فيه السوق الجديد حسب ما فهم الأستاذ هوينهان من البلاذري وياقوت مع أن كليهما قالاً إن إنشاء السوق الجديد كان في الفضاء الواقع بين المدينتين أما قول المقدسي وأبي الفداء عن الرض فهو بمعنى الضاحية ، ومن الطبيعي أن الرافقة بعد اتساع المدينة الرضى أصبحت كضاحية لها .

توسع الرافقة واتصال الوقتين والضواحي :

إن إنشاء الرافقة قريباً من الرقة أثر على أهميتها وحيويتها حتى أن أهل الرقة لم يهتموا هذا الأمر عندما علموا أن المتصور قد صمم على بنائها فقد اعتزوا ^(٤) عليه وقالوا : « تمطل علينا أسواقنا وتذهب بمجاشنا وتضيقت مناقلنا ... » حتى تم المتصور بمحاربتهم لو أنهم تشبهوا برأيهم . لقد عمرت الرافقة واستصلحت الأراضي حولها فأصبحت حدائق ^(٥) وبساتين ترميها جداول

(١) ياقوت II ٧٣٤ .

(٢) أحسن التلخيص ص ١٤١ .

(٣) تلويح البلدان ص ٢٨٦ .

(٤) الطبري ج III ص ٣٧٢ سنة ١٥٤ هـ .

(٥) الاسطرني ص ٤٢ .

المياه قروها وأصبحت جنة تستثير وجدان الشعراء^(١) وتحرك خيال الأدباء ، وبدأت الرقعة تحور بالحياة حتى ضاقت أسوارها عن استيعاب منشآتها ، فبدأ الخليفة الرشيد فصر قسراً خارج السور أسماء قصر^(٢) السلام وأخذ الأمراء والوزراء والكبراء يتنوم قصورهم شرقي المدينة وشمالها حتى اتصلت الرقعة بالرقعة والضواحي المجاورة . فوشت الرقعة كل مظاهر الحياة من الرقعة حتى اسمها ولم يعد اسم الرقعة مستعملاً في القرن الرابع الهجري وما بعده إلا أن تعتبر الرقعة ملحقة بالمدينة التي امتدت خارج السور على نحو ما ذكر القسدي .

يعتبر العصر الذهبي لرقعة ما بين الربع الأخير من القرن الثاني الهجري حتى أواسط القرن الثالث الهجري وفي هذه الفترة أصبحت تستوي قلوب الأمراء والوزراء فكانوا يملكون الأراضي ويبنون القصور ويعشون فيها عيش الرفاه والبلذخ ويتنعمون بالمسرات واللاذخ . يذكر المسعودي^(٣) خبر السباق في عهد الرشيد وما ينشأ عنه من السوى ، وخبر الولاية التي أولها الأمير العباسي إبراهيم بن المهدي في قصره للرشيد وكيف تبين للرشيد أن صنفاً قدّم على المائدة كان مليئاً بالأسنة السلك فقط . يذكر الطبري^(٤) كيف اتخذ الرشيد الرقعة وطناً له ، ويذكر أيضاً بعد أن قتل^(٥) البرامكة وحبس بعضهم كيف وجه من ليك رجاء الخادم إلى الرقعة في قبض أموالهم وما كان لهم ، وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشيمهم ... ويذكر أيضاً بعد أن انتهى الرشيد من محاربة الروم في آسيا الصغرى كيف وليّ حميد بن مصوف سواحل^(٦) بحر الشام إلى مصر . فبلغ حميد قبرس (كذا) فهدم وحرق وسب من أهلها ستة عشر ألفاً فأقدمهم الرقعة ، فنولى يجمع أبو البختري القاضي فبلغ أسقف قبرس ألفي دينار . ويذكر الطبري^(٧) أيضاً كيف وجه الواثق إلى بغداد والرقعة في شرى من يساع من

(١) الشاعر ودية الرائي يصف الرقعة بآيات ذكرها (بحث ج II ص ٨٠٠) وكذلك الصنوبري ٤

آيات جمة لها (ياقوت ج IV ص ٩٩٤) .

(٢) ياقوت ج IV ص ١١٢ والبلاذري يقول ص ١٨٤ ثم إن الرشيد بنى قصورها ..

(٣) المسعودي ج VI ص ٣٤٨ و ٣٤٩ طبعة باريس ١٨٧٧ (ذكر الخبر الاستاذ فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٠٢) .

(٤) الطبري ج III ص ٦٤٥ سنة ١٨٠ هـ .

(٥) د د د ٦٧٩ سنة ١٨٧ هـ .

(٦) الطبري ج III ص ٧٠٩ سنة ١٩٠ هـ .

(٧) الطبري ج III ص ١٣٥٧ .

الرفيق من ماليك... كل هذا يدلنا على مدى اتساع الرقة وفضي أسواقها وخاصة أسواق الرفيق، وانا لتدمش حقاً من أن تستوعب هذه الأسواق ستة عشر ألفاً من الرفيق يأتون دفعة واحدة فيباعون فيها . ومن هنا نستطيع أن نقدر أهمية هذه المدينة في ذلك العصر .

لم تكن الرقة الكبرى حوقاً هامة فحسب بل يصفها المقدسي^(١) وصفاً جامعاً فيقول : « ... غير أنها طيبة كزهره ، قديمة الخطة ، حصة الأسواق ، كثرة القرى والبساتين والحدائق ومعدن الصابون البيد والزيتون ، ولها جامع عجب وحمامات طيبة ، قد ظلت أسواقها ، وبريقت^(٢) (كذا) قصورها ، وانتشر في الإقليم ذكرها ، فالشام على نخبها ، والفترات إلى جنبها ، وللم علم كثير بها . إلا أن الأعراب بها عجيطة ، والطرق إليها صعبة . » ويذكر المقدسي^(٣) في مكان آخر شهرة الرقة بتصدير الصابون والزيت والأقلام . ويصفها ياقوت : « ... مدينة كبيرة كثيرة الخير . » نستنتج من هذه الأوصاف أنها مدينة عامرة كزهره مستطابة البش فيها لمه وفيها حركة تجارية وصناعية وفيها علم . يذكر الاستاذ فيليب^(٤) حتى أنه ظهر في الرقة بين سنتي ٨٧٧ م - ٨٢٦ م و ٩١٨ م - ٨٣٠٦ م أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني وأحد من صابئة حران وهو أعظم فلكي في قومه . أجرى أبحاثه ودراساته في الرقة . لقد أصحح كثيراً بما خلته بطليموس من الآثار العلمية ، وضبط حساب الافلاك التي بدور فيها القمر وبعض النجوم السيارة . وإذا أردنا أن نستقصي هذه الناحية فإن المجال واسع جداً وحسبنا أن نراجع المخطوط (تاريخ الرقة ومن تزلها من أصحاب رسول الله ﷺ) المودوع في المكتبة الظاهرية في دمشق لنعلم عدد المحدثين وعلماء الدين الذين ظهروا في الرقة أو أقاموا فيها .

في هذه الفترة التي نعتها العصر الذهبي للرقة جرى ثلاثة حوادث مؤسفة في الرقة ، أولها ثورة عمرو ونصر بن شبيب على الأمويين سنة ١٩٧ هـ = ٨١٢ م لاحتق^(٥) من جرائها الرين ودمر العواميد الذي يظن أنه المسجد الملق على حود الذي ذكره المقدسي . ويبدو أن الرقة السوداء

(١) احسن التاليس من ١٤١ .

(٢) لم نجد في المصاحم الكبيرة كلمة (ريق) ونعتقد أن الكلمة في الأصل (ريت) بمن ترتك .

(٣) احسن التاليس من ١٤٥ .

(٤) تاريخ العرب لفيليب ج ٢ ص ٤٥٩ هلال من الفهرست لابن التميم من ٢٧٩ .

(٥) الموسوعة الاسلامية هلال من Michael, Syr. III, 26 .

والرقعة المحترقة وهذا الرض المحترق كلها واحد . والحادث الثاني جرى أيضاً في عهد المأمون لقد نزل عرب الشام في الرقعة منذ سنة ١٩٦ م^(١) واجتمع الأبناء وأهل خراسان بالرقعة وصارت تحدث بين الفريقين (أي الفرس وعرب الشام) مشاكل وحروب أثرت على هدوء الرقعة واستقرارها . حتى اضطر المأمون في سنة ٢٠١ م - ١٩٦ م أن يأمر قائده طاهر بن الحسين لبني^(٢) جداراً بين الرقعة والرافقة لتلا يقتتل الفريقان . أما الحادث^(٣) الثالث فقد زلزلت الأرض سنة ٢٤٥ م وتأثرت بالس والرقعة وحرمان ورأس عين وحص ودمشق والزها وطرطوس والمصيصة وأدنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية ، فما بقي منها منزل ولا أثك من أهلها إلا البير ، وذهبت جبله بأهلها . . .

وهنا لا بد لنا من أن نذكر قبة الرقعة الحربية : هي في موضع قريب من التغوم الشمالية إلا أنها ليست معرضة للهجوم المفاجيء ، لذا كانت مركز تجمع الجيوش وخاصة الصائفة^(٤) لذا كان يقم بها الرشيد للاشراف على تنظيم هذه الجيوش وسنظل الرقعة ذات أهمية حربية في العهود التالية لتجمع الجيوش من جهة ولتوطينها من جهة أخرى . لذا لا نستغرب أن تكون قصورها التي بنيت خارج السور محاطة بأسوار ذات أبراج . [جميع القصور المكتشفة في الرقعة محصنة بأسوار ذات أبراج] بلغت الرقعة في هذه الفترة الأوج في الاتساع فقد ملأت السهل المحصور بين الفرات ومصب البليخ وهي التي يسبها ياقوت^(٥) الرقعة الوسطى التي وصلت ما بين الضواحي وإن نظرة إلى الصور^(٦) ، الملتقط من الجو لمنطقة الرقعة يدلنا على مدى اتساع المدينة القديمة التي ما زالت كامنة تحت التراب . إن السيد نسيب صليبي المساعد الفني الممتاز في مديرية الآثار العامة الذي يتولى أعمال الحفر والتنقيب في المنطقة منذ عام ١٩٥٠ يقدر مساحة الرقعة بـ ٥٠ كم^(٧) وهو تقدير قريب من الحقيقة .

(١) الطبري III ١٤٤ ويسمى عرب الشام (الرواقيل)

(٢) الموسومة الإسلامية هـ ٢٦ من Michael, Syr. III, 26 .

(٣) الطبري ج III ص ١٤٤٠ .

(٤) الطبري ج III ص ٧٠٩ : حتى ج ٢ ص ٣٧٣ .

(٥) ياقوت II ٨٠٢ : الاسطبري ص ٤٢ يقول « والمدينتان متلاصقتان » .

(٦) في مجلة Ann Islamica XIII - XIV ص ٣١ بحث الاستاذ مولاية لثريه مصوراً جويّاً وقد نشرت

بعض الحوليات الأثرية هذا الصور في المجلد I - ١ ص ١٩١ عام ١٩٥١ .

(٧) انظر مقال في الحوليات الأثرية ج VI ص ٢٥ عام ١٩٥٦ .

وقبل أن تنتقل إلى موضوع آخر نحب أن نستأنس بما ذكره المقدسي عن أهمية الرقة كمرکز إداري يقبمه مدن وقري يقول ^(١) : « وأما ديار مقر قصبها الرقة ومن مدنها المحترقة ، الرافقة خاقوة ، الحريش ، تل محرق ، باجروان ، حصن مسلمة ، تعوز ، حران ، الرها ، والناحية سروج ، كفر زاب ، كفر سيرين » .

الرقة من أواخر القرن الثالث حتى السابع الهجريين :

لقد أخذت الرقة تفقد منزلتها منذ بليت مدينة (سر* من رأى = سامرا*) وقد أخذ الخلفاء يعنون ببناء القصور ^{المستديرة} وأقاموا بها . لقد احتل نظام الأمن في البلاد وضعت سلطة الخليفة وكثرت الحروب بين الطامعين وانفصلت الدويلات واحدة بعد أخرى واستبد الترك أولاً بأمور الدولة وعانى ^{السلطان} من ضعف كثير ثم انتقلت السلطة الفعلية إلى البويين فلم يكونوا أفضل من الأتراك ثم انتقلت مرة أخرى إلى أيدي السلاجقة ، وكان هؤلاء أفضل من سبقهم إلا أن الحروب المتصلة أضعفت الكيان العربي الاسلامي . ثم جاء الصليبيون فأحدثوا اضطراباً عظيماً في الشرق العربي وتلام التتار الذين جروا الحراب على أكثر المدن ومنها الرقة . لقد خربت الرقة القديمة منذ القرن الرابع الهجري ولكن بقيت الرقة الحديثة وأمنت الرافقة ضاحية لما كما يذكر المقدسي . دخلت الرقة تحت نفوذ الطولونيين ^(٢) وكان لؤلؤ صاحب ابن طولون مقبلاً في الرقة في جيش عظيم من الفرائضة والأتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم . ولقد سكن المصنف ^(٣) الرقة بعد عودته من الشام سنة ٥٢٨٦ هـ . وكذلك كان المكتبي ^(٤) متخذاً الرقة له مقاماً ثم نزل الخليفة المتقي ^(٥) في الرقة وأقام بها ودحاً عندما اختلف مع توزون وكاتب الاخشيدي محمد بن طنج صاحب مصر ، فساد إلى الرقة وحمل إليه مالاً كثيراً وأهدى

(١) أحسن التقاسيم ١٣٧ يصل في موضعه آخر فيذكر جميع النواحي والقرى التابعة من ٥٤ . وإليه عند المقدسي على درجات : فأكبرها شاماً ومركزاً وسلطاناً يدعوهما مرة ثم يليها القصبه ، فالدينه ، فالقرية ، ويسمى القرية أحياناً ناحية .

(٢) الطبري ج ٢٠٨٠ III

(٣) » » » ٢٢٠٠

(٤) » » » ٢٢٣٦ - ٢٢٤٤

(٥) السرمدي (مروج) ج ٨ ص ٣٤٨

إليه غنائماً وأثناً وضم إليه قائداً من قواده وجعل أمره وزاده في حاله وبرّ جميع من معه .
وبعني هذا أن الرقعة كانت تابعة لحكومة مصر في عهد الاخشيديين . ثم حكمها السلاجقة
فالأتابكة فالأيوبيون .

لقد كانت الرقعة بمنجاة عن الحروب التي استطلت بين المسلمين والصليبيين لأنها واقعة في الضفة
الشرقية للفرات . ولقد تحسن حال الرقعة من جديد في القرن السادس لأنها أصبحت مركز تخوم
الجيش الغازية والمدافعة . يحدثنا ابن الأثير^(١) كيف كانت الرقعة تلعب دوراً تحويلياً عسكرياً
في عهد الأتابك عماد الدين^(٢) زنكي فبعد أن غلّك حصص سنة ٥٢٣ هـ وبعض أعمال دمشق
عاد إلى السلب ومنها إلى الفرات فمهر إلى الرقعة وأقام جريدة ليقب الروم ويقطع عنهم الميرة .
ظلت الرقعة تلعب الدور نفسه في عهد الأتابك نور الدين^(٣) عمود ثم في عهد ابنه الملك الصالح
إسماعيل أتابك حلب .

لقد كان الأتابكة مصلحين من الناحية السوانية في جميع البلاد التي حكموها وقد نالت
الرقعة شيئاً من هذا الإصلاح خلّده لوحة مكتوبة^(٤) وجدت في جامع الرقعة من سنة ٥٩١ هـ
في عهد نور الدين .

لقد كثرت مؤامرات الأتابكة في الشجال بعد موت نور الدين عمود وكان الملك الصالح
ضعيفاً واشتد الخطر الصليبي فرأى صلاح الدين الأيوبي أن يأخذ الأمر بالزم فاستولى على
دمشق وحمص وحماة وغولامى حلب وترك حلب للملك الصالح على أن يكون له موازراً
واستولى على الرقعة سنة ٥٧٨ هـ^(٥) وحرّان والرها ونصيبين وميفارقين وجميع مدن الجزيرة وحاصر

(١) الكامل لابن الأثير - طبعة مصر ج ١١ ص ٢٢ .

(٢) دلق عماد الدين زنكي في الرقعة بعد فتحه بصرى قلعة جبر سنة ٥٤١ هـ (ابن الأثير ج ١١ ص ٤٢)

(٣) احتل نور الدين الرقعة سنة ٥٥٤ هـ ثم ترك الحكم لها لأخيه مودود فحكمها من ٥٦٢ - ٥٦٦ هـ

(الموسوعة الإسلامية III ١١٨٧) .

(٤) نشرت في Répertoire chronologique d'épigraphie arabe T. 9 No 3269 .

(٥) كتاب الروضتين لشهاب الدين المقدسي ج ٢ ص ٢٩ طبعة وادي النيل ١٢٨٧ هـ .

سيرة صلاح الدين لابن عداد ص ٤٦ القاهرة (بدون تاريخ)

الموصل إلا أنه تراجع عنها ثم حاصرها مرة أخرى واصطلح مع أتباعها عز الدين سنة ٥٨١ هـ^(١) وعلى هذا النحو استطاع صلاح الدين أن يفرض نفوذه على سوريا ومصر ، وتوسعت جهود الزعماء المحليين لمحاربة^(٢) الصليبيين .

هدأت الحروب الاهلية في الربع الأخير من القرن السادس ، فأخذت البلاد تنمش وخاصة الرقة التي تتمتع بموقع جيد وموارد طيبة وأخذت تؤدي دورها في إنتاج المصنوعات الراقية كما كانت في القرون السابقة : لقد انتجت الرقة أجمل الطوف من الحلي ، والزجاج الموهب بالذهب والحلي بالمينا الملونة والفسار المزين بزخارف بارزة دقيقة ، والحزف المطلي بالمينا بأنواعه الشهيرة : الحزف المزين بالزخارف السوداء تحت المينا الزجاجية وهو المعروف في العالم باسم (خزف الرقة) ، الحزف ذي البريق المعدني ، الحزف الرقيق المعروف بالقبلي وهو ملوث بلون واحد أزرق فيوزي أو زبدي مع شيء من الزخارف البارزة ، الحزف المتعدد الألوان ... هذه المدينة تعتبر بحق من أهم مراكز الإنتاج في ظل الحضارة العربية الإسلامية وهي تعد مع سامرا^١ ودمشق والقاهرة وحلب وبغداد والموصل أهم المناطق الأثرية العربية الإسلامية .

خواب الرقة :

كان هجوم التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م وبالأعلى العالم الاسلامي ، واضطربت أحوال الجزيرة اضطراباً عظيماً لقسوة المغول في معاملة السكان . لقد كانت الرقة بموقعها ومعاملتها متصلة ببغداد عواصميتها تأتت من هذا الاتصال ؛ فلما خربت بغداد جفت موارده الحياة بالنسبة إلى الرقة . وما زالت الرقة تذبل حتى أصبحت خراباً يباباً في القرن الثامن الهجري . وقد ذكر أبو الفداء عندما كتب كتابه الجفراني تقويم البلدان فقال : « والرقة في زماننا مدينة خراب ليس بها أنيس .. » وكانت هذه الكتابة في سنة ٧٧١ هـ = ١٣٧١ م . لابد أن أيدي الأعراب عاثت بالرقة ومنشأتها الحربية واثلفت كثيراً من محتوياتها ونهبت ما يمكن استغلاله في ذلك العصر ، ثم تقوضت أبنيتها لأنها من الآجر والطوب ، ونامت المدينة نوعاً عميقاً تحت الروكام حتى القرون الأخيرة . بدأت القبائل العربية (وهم الفقادة) تستقر في جوار

(١) سيرة صلاح الدين لابن هداد ص ٥٦ القاهرة .

(٢) » » » ص ٩٨ - ١٦١

منطقة الرقة . أما الرقة نفسها فلما ظلت خالية حتى نفلت الدولة العثمانية في سنة ١٨٦٥ م التباثل العربية التي كانت قاطنة في أورده وم الذين كان يطلق عليها باللغة التركية (القول) - ومنها التباثل الموجودة في الخطوط الامامية) وم الشعب والحسون والموالي . . وأسكنتهم الرقة بالرغم من معاكسة العقادة . وقطن الرقة ايضاً بعض التباثل العربية النازحة من الميادين والعشائر (قرب الميادين) ، ومن قرية الجرن (التابعة للوصل) وم السجلي ، ومن الجزيرة العربية وم طي ؛ ثم هاجر اليها التركس الذين فروا من بلادهم على أثر الحروب التركية الروسية سنة ١٨٧٨ م ، فأخذ السكان الجدد يشيدون منازلهم من كبات الآجر والبن التي محبوها من سور الرقة وأبراجه . أخذت تنمو الرقة على حساب الخرائب القديمة ، ونستطيع أن نقول أن جميع دورها قبل عشرين عاماً كانت موادها الأولية من الخرائب . حتى أن السور الجنوبي للرقة والبرج الغربي والباب الغربي ... كل ذلك قد زال تماماً ، وتوضعت الدور الموزلة في مكانه .

لقد بدأ الاجانب يهتمون بالآثار الإسلامية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكانت الاسمار التي تدفع هذه الآثار فاحشة جداً ، لذا أقبل أهل الرقة على نبش الأرض كيف ما اتفق ، وأخرجوا قطعاً هامة جداً ، ولكنهم اتلفوا مقابلها قطعاً كثيرة ، وقد وجدت هذه القطع طريقها إلى أوروبا وأمريكا ، ولم يبق في بلادنا منها إلا النذر اليسير .

أرادت فرنسا من الناحية الرسمية أن تحمي آثار الرقة في عهد الانتداب ، وقد بذلت شيئاً من الجهود في ترميم باب بغداد وواجهة المسجد وتقوية المأذنة إلا أنها لم تكن جدية تماماً في مكافحة التنقيب السري ، بل العكس أحياناً يقع : إذ كان بعض المسؤولين يشترون القطع التي تظهر مع الأهليين بأسعار طيبة مما كان يشجع الأهليين على الاستمرار في الحفر .

عنيت الجمهورية السورية بعد الاستقلال بالؤسسة الأثرية فأنشأت مديرية الآثار العامة ووسعت ملاكها وجعلت لها فروعاً : منها فرع أعمال الحفر والدراسات . لقد بدأت أول أعمال الحفر في منطقة الرقة عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وقد بدأت اعتماداً على خبرة الاستاذ دوتان باكتشاف قصر هام أطلق عليه فيما بعد القصر أ - ١ . ثم أرسلت بعثة يتولى شؤونها المساعد الفني الممتاز السيد نيب حليبي فقام بمحافرات دورية منذ سنة ١٩٥٠ حتى الآن ، اكتشف على أثرها القصور : ب ، ج ، د في منطقة الرقة الوسطى حسبما يسميها ياقوت والتي يسميها الاستاذ دوتان مدينة الرشيد .

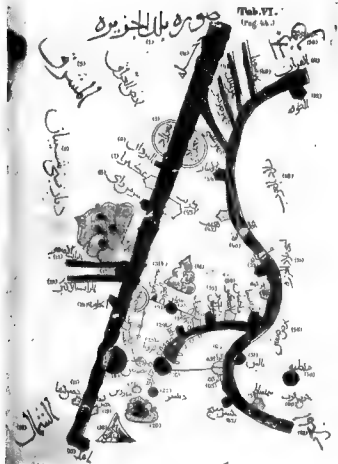
لقد كانت القطع الأثرية التي حصلت عليها مديرية الآثار العامة من هذه المحافرات قليلة ، والقطعة الكاملة تعتبر نادرة ، لأن الأرض - كما ذكرنا - مبنوسة منذ مدة طويلة ، إلا أنه

هذه القطع على قلبها وسوء وضعها منيعة جداً من الناحية العلمية ، فقد أعطتنا نماذج من الزجاج والفضار والحرف المطلي والبرونز والنجاس . . . تعود إلى القرنين الثالث والرابع المجرين ، وهذه القطع تعتبر من أندر القطع الأثرية في العالم ؛ هنا بالإضافة إلى الأطر الجصية المزخرفة التي تحيط بالأبواب والنوافذ في الفصور المكتشفة : فهي بحد إصلاحها وتوثيقها تعتبر من أنفس أجزاء الأبنية الموجودة في العالم .

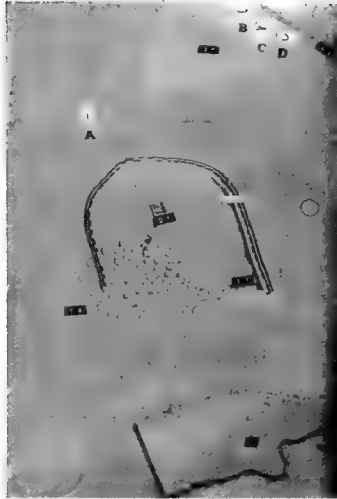
لم تنف عناية المديرية العامة على التقدم في أعمال الحفر والتنقيب وإنما وسعت المتاحف ومنها متحف دمشق فأحدثت فيه فرع الآثار العربية الإسلامية . وقد 'جعل في هذا الفرع قاعة خاصة للوحة تضم القطع الأثرية المكتشفة من القصرين : ب و هـ ، والأطر واللوحات الجدارية التزيينية وأجزاء الزخارف الجصية وبض المكتنابات التي اكتشفت قديماً في الرقة بصورة مؤكدة . وستتو هذه القاعة في المستقبل [انظر الألواح التابية لهذا المقال] .

لقد عثر بعض المواطنين في الرقة على كنز^(١) من النقود النحاسية العربية والبيزنطية في سبع جرار داخل سور الرافعة فأسلموه إلى محافظة المتحف الوطني ، وكافأهم المديرية العامة على عملهم . وقد عرض هذا الكنز في معرض المكتشفات الأثرية لعامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ مع بعض القطع الأثرية التي وجدت في القصر المكتشف - د - وبعض القطع الخزفية والفخارية المكتشفة في الرقة . إن منطقة الرقة بحاجة إلى حملة واسعة من أعمال الحفر والتنقيب والكشف والترميم ، وهذه الأعمال الواسعة تتطلب أموالاً باهظة ؛ لكن الفوائد الطيبة والمادية ستكون بالغة الأهمية . نرجو أن تتحقق هذه الأمنية الغالية في القريب العاجل .

(١) لقد درس جزء هام من الكنز النحاسي وسلكته هذه الدراسة في عدد آخر إن شاء الله .



مصور الجزيرة كما وضعه الجغرافي الاصطخري في كتاب الاقاليم طبعه
Dr J. H. Holler, Gothae, MCCCCXXXIX وبلاحظ فيه أن الجنوب
يتجه الى الاعلى وأن مدينتي الرقة والرافقة متلاصقتان



- عُطِلَ بِحَسْبِ لِنَظْفَةِ الرَقَّةِ هُوَ مَعْرُوضٌ فِي قَاعَةِ الرَقَّةِ مِنْ فِرْعِ الْآثَارِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
فِي الْمَنْتَهَى الْوُطَنِيِّ بِدِمَشْقَ وَيَبْدُو فِيهِ التَّقَاطُفُ الْآتِيَّةُ :
- ١ - مَدِينَةُ الرَّافِقَةِ الْمَصُورَةُ ضَمَّنَ السُّورِ ٢ - مَسْجِدُ الرَّافِقَةِ
 - ٣ - تَوْسِيعُ الرَّافِقَةِ خَارِجَ السُّورِ وَهِيَ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا / الرَقَّةُ الْوَسْطَى / وَهِيَ مَنَاطِقَةُ الْقُصُورِ
الَّتِي تَجْرِي فِيهَا مَدِيرِيَّةُ الْآثَارِ الْعَامَّةِ أَعْمَالُ الْحَفْرِ وَالتَّنْقِيبِ
 - ٤ - آثَارُ الْقَنَاةِ الَّتِي تَرْوِي الرَقَّةَ . ٥ - الْبَلَدَةُ الْحَالِيَّةُ
 - ١، ٤، ٥، ٥ : الْقُصُورُ الْمَكْتَشَفَةُ مِنْ قَبْلِ مَدِيرِيَّةِ الْآثَارِ الْعَامَّةِ .

الروح - ٣ -



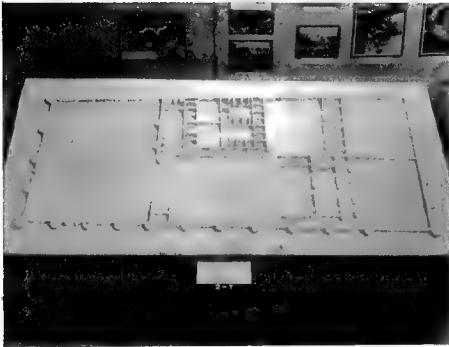
باب بغداد كما يبدو حالياً في خرائب الرافقة



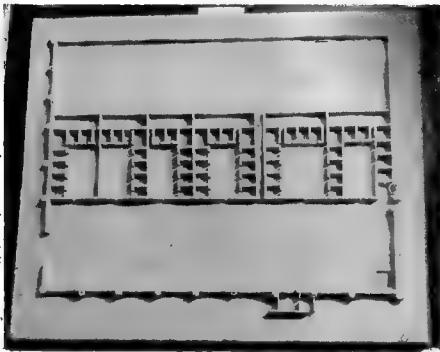
مأذنة جامع الرفاعة تبدو من أحد أبواب واجهة المسجد الأجرية



واجهة مسجد الرافقة وهي مبنية من الآجر ولا زالت مائة للبيان



المخطط الجسم للتصميم - ب - كما هو معروض في قاعة الرقعة من فرع الآثار العربية الإسلامية
في المتحف الوطني بدمشق



المخطط المجمع للصرح - ٥ - كما هو معروض في قاعة الرقة من فرع الآثار العربية الإسلامية
في المتحف الوطني بدمشق

اللوحة - ٨ -



قاعة الرقة - في فرع الآثار العربية الإسلامية من المتحف الوطني بدمشق

اللوحة - ٩ -



تاج عمود من حجر الجبل الطبيعي ، ينان أن من العهد البيزنطي وقد عمد البناء العربي
إلى مسح الذؤابة العليا للصلب ليستخدمه في العمران في العهد العربي

591

51

Bibliotheca Alexandrina



0361700